الأحد 20/10/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة أبواب الفرج

لماذا يقع العباد في الشدائد؟

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

نبدأ اليوم مستعينين الله تعالى سلسلة دروس جديدة بعنوان **أبواب الفرج** سائلين المولى أن يجعل لنا بها الفرج وأن يدركنا بألطافه.

هذه السلسة دعوة لكل واحد فينا أن يعمل ما استطاع مما يسمع قارعين باب حضرة الله تعالى طالبين منه الفرج.

ببابك لن أغادره ولن أسعى إلى غيرك

سأنسج بالرضى ثوبي وأشرف أنني عبدك

هذه الأزمة علمتنا جميعاً أن أحداً في هذا الكون لا يستطيع أن يحرك حركة إلا بأمره تعالى، ولا يستطيع مخلوق أن يفرج عنا ما نزل بنا.

من أهم ما تعلمناه في هذه الامتحانات:

1- أن نكون موحِّدين لله: فلا فارج إلا الله، ولا معين إلا الله، ولا معطي إلا الله، ولا حافظ إلا الله، ولا ناصر إلا الله، ولا مؤيد إلا الله؛ لذلك ستأتي دروس هذه السلسة بهذا العنوان.

معنى الفرج:

الفرج لغة: الخلل بين شيئين، يقال:

- فرجة الحائط أي الفتحة الموجودة فيه.
- الفرجة بين المصلين: هي الخلل والفراغات التي تقع بينهم.

والفرجة: هي الراحة من بعد حزن أو مرض.

سمي الفرج فرجاً بإشارة أن الضيق والهم الذي يحيط بالإنسان من كل جوانبه مما يدفعه للبحث عن فتحة وخلل ومكان وثغرة يستطيع أن يخرج منها.

درسنا اليوم عن: **لماذا يقع الناس في الشدائد؟** ولماذا يبتلي الله تعالى عباده؟ ولماذا تحاصر الهموم والغموم والشدة والقلة والحاجة والفقر والضعف والضيق العباد؟

نقع في هذه الشدائد؛ لأن الابتلاء والامتحان والاختبار سنة الله تعالى في عباده جميعاً، فيبتلي الله تعالى المؤمن، والكافر على حد سواء، فيبتلي الله الصالحين والطالحين، والمقربين والبعيدين...

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: 2].

قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2].

الْإِنْسَانَ: اسم جنس محلى بأل يفيد العموم.

نَبْتَلِيهِ: أي نختبره ونمتحنه.

قال تعالى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 1-3].

أيحسب المؤمن أن بإيمانه بالله سيدخل الجنة من غير اختبار

ويقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155].

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ: **الواو**: واو القسم، أي أقسم بربكم يا عبادي لنختبرنكم.

الاختبار قد يكون باليُسر أو بالعسر، وقد يكون بالكثرة أو القلة، وقد يكون بالنصر أو بالهزيمة، وقد يكون بالغنى أو بالفاقة وقد يكون بالذرية، أو بالوالدين، وقد يكون بالزوجة المطيعة أو العاصية.

فسنة الله الجارية في هذه الأرض بين عباده كلهم وفي المؤمنين خاصة هي الابتلاء والاختبار والفحص.

قد يتتالى على العبد فترات من الراحة والسرور والسكون والطمأنينة فيظن أن هذه هي الحياة لكن الحقيقة أن الحياة فيها سعة وفيها ضيق، فيها سرور وفيها شدة، فيها فرج وفيها كرب، فيها صعوبة وفيها سهولة... لذلك إذا عرض لك كرب وشدة وفاقة وقلة وفقد وهزيمة وانكسار فاعلم أنك تمضي ضمن امتحانات الله تعالى.

هذه السنة الإلهية في الاختبار يتّبِعُهَا العقلاء في هذه الأرض مع من هو دونهم فما من طبيب أو مهندس أو محام صار بمكانته إلا بعد اختبار، ولو لغي الاختبار عند الطلاب لتحول التعليم إلى فوضى، وما من مدير شركة يُرقِّع موظفاً حتى يختبره.

فإذا نزل بك ضيق أو كرب أو فاقة أو شدة أو ألم فكن صابراً محتسباً وأري الله تعالى من نفسك خيراً، أما إذا رأيت إنساناً ينجح في السراء ويرسب في الضراء فهذا إنسان لم يكمل إيمانه، وإذا رأيت إنساناً ينجح في السرور ويرسب في الحزن فهذا لم يكمل إيمانه، وإذا رأيت إنساناً ينجح في وقت الغنى والقوة ويرسب في وقت الضعف والفقر فهو مؤمن لم يكتمل إيمانه.

2- إعداد للمؤمنين للتمكين في الأرض: لأن الابتلاء يربي الرجال.

ينقى الذهب عن الصخور والمعادن الأخرى عن طريق تعريضه للنار فتذوب معادن الشوائب، ويبقى الذهب صافياً وكلما رفعنا درجة الحرارة أكثر كلما زادت النقاوة أكثر.

الذهب هو الوحيد الذي يتحمل الحرارة العالية أما الشوائب فإنها تذوب، فالعبد عندما يتعرض للبلاء والشدة فإن الله تعالى يريد أن ينقيه ويمكّن له في الأرض.

لو أن صاحب شركة أراد أن يعين مديراً لشركته فوضع إعلاناً لتقديم السيرة الذاتية لمن أراد العمل بها فجاءه طلبان:

أحدهما: صاحبه درس فنال أعلى الشهادات، وحَصَّل دورات في اللغات الأجنبية، وسافر وترك أهله سنوات عديدة، وقد أنهى الخدمة الإلزامية، وعمل لسنوات عديدة في إدارة شركة سابقة.

والثاني: كان مفاده أنه جلس في بيت أهله، ليأتيه طعامه وشرابه ولهوه.

فأيهما سيختار صاحب الشركة الشاب الأول الذي صهره الابتلاء أم الشاب المرفه الذي رغد طيلة العيش؟

فالله من حكمة الابتلاء والكربات التي تنزل بالمؤمنين أنها تسبكهم حتى تمكنهم في الأرض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24].

فإذا أردت أن تصير إماماً فعليك أن تتحمل وتصبر وتثبت في الفتن والابتلاء كما تصبر وتتحمل وتثبت في وقت الفرح والسرور.

سَأَلَ رجل الشَّافِعِي فَقَالَ: يَا أَبَا عبد الله أَيّمَا أفضل للرجل أَن يمكَّن أَو يَبْتَلِي؟ فَقَالَ الشَّافِعِي: لَا يمكَّن حَتَّى يبتلى فَإِن الله ابْتُلِيَ نوحًا وَإِبْرَاهِيم ومُوسَى وَعِيسَى ومحمداً صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ فَلَمَّا صَبَرُوا مكنهم [الفوائد لابن القيم].

اختار الله تعالى لخيرة عباده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يحيا حياة فيها شدة وبلاء وصعوبة ولعل إنساناً لم يمر بالصعوبات لتي مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل ولادته مات أبوه وبعد ولادته ماتت أمه ثم جده ثم عمه ثم زوجته ومات أولاده كلهم إلا السيدة فاطمة.

مر عليه الحصار في شعب أبي طالب حتى أكل مع المسلمين ورق الشجر.

وكل هذا لأجل أن يُعِدَّ الله نبيه للتمكين ويجعله سيد ولد آدم.

3- مغفرة الذنوب وحصول الثواب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**» [الترمذي].

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**» [الترمذي].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً**» [مسلم].

فما من هَمٍّ يشعر به الناس إلا سيكون فيه تكفير للخطايا ومغفرة للذنوب ورفع للدرجات فهي فائدة وحكمة من حكم البلاء.

4- في الابتلاء فرصة للتوبة قبل أن يحل العذاب بالعبد: قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: 21].

قبل الأزمة كنا نرى شباباً بعيدين جداً عن الله، وفتيات وزوجات وأزواج وباعة لا يلتفتون إلى الله، فإلى متى تستمر هذه المعاصي والذنوب والخطايا؟!

يرسل الله للإنسان رسائل رحمة ونعمة ومنة فإذا لم يفهم عليه أرسل إليه المصائب رحمة به.

إذا أخطأ ابنك الصغير تقول له: يا بني لا تخطئ، فإذا أخطأ الثانية نبهته وفي المرة الثالثة تعطه سُكرة وتقول له: لا تفعل ذلك، وفي المرة الرابعة تعطه خمسين ليرة لئلا يكررها، لكن في المرة الخامسة لا بد أن تؤنبه وتضربه محبة فيه.

فلعل العبد الذي لم يفهم على الله بالامتنان أن يفهم عليه بسلاسل الامتحان.

5- في البلاء إخراج العُجب من النفوس: وهذه حكمة عجيبة فقبل الأزمة قد ترى البعض لديه عجب ليقول: أفعل بمالي كل ما أريد.

كان يقول أحدهم: أنا أعمل عند إنسان نصف البلد تأتمر بأمره.

كان يقول إنسان: أنا شيخي لا يرفع يده للسماء فيدعو إلا وتكون الإجابة.

فعلمت الأزمة هؤلاء أن الأمر بيد الله فإن كان كلامكم صحيح فارفعوا عنا ما نزل بنا.

قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15].

فلا يغترن أحد بماله أو جاهه أو مكانته الاجتماعية أو عائلته... لذلك أرجعتنا هذه الأزمة إلى أنفسنا بأننا ضعاف ومفتقرين إلى الله وأننا محتاجون إلى أمر الله ونهيه وأننا لا شيء وأن الله كل شيء.

6- في الابتلاء فرز للناس وتمييز بين الخبيث والطيب: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 141].

وَلِيُمَحِّصَ: أي يفرز.

ففي هذه الأزمة كان هناك أناس إذا ارْتَدَوا زياً حسناً وتكلموا منطقاً جميلاً ظننتهم على صدق وأمانة ووفاء حتى إذا كشرت الأزمة عن أنيابها أروك إجرامهم وفحشهم وسوءهم ومقتهم فزيهم الجميل لم يرع حرمةً ولا ذمةً ولا عرضاً ولا مالاً ولا نفساً ولا روحاً.

قد ترى أناساً تظنهم بسطاء ولا قيمة لهم وإذ بهم يساعدون الناس ويخدمونهم ويؤثرون الآخرين بما هم أحوج الناس إليه.

ورحم الله الفضيل بن عياض حيث جاء انه قال: (**الناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم؛ فصار المؤمن إلى إيمانه، وصار المنافق إلى نفاقه**).

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.